يا اشرف المرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف
قال تعالى **فارتقب** اي انتظر بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لاحوالهم
نظر من هو حارس لها **يوم تاتي السما بدخان مبين** اي ظاهر **يغشى الناس** اي
المهددون بهذا فقالوا عند اتيانه **هذا عذاب اليم** اي يخلص وجعه
الى القلب فيبلغ في المه كما كنتم تولمون من يدعوكم الى الله تعالى واختلف
في هذا الدخان فروى ابو الصفا عن مسروق قال بينما رجل
يحدث في كندة قال يجيئ دخان يوم القيامة فياخذ باسماع
المنافقين وابصارهم وياخذ المومن كهيئة الزكام ففزعنا
فاتينا ابن مسعود وكان متكيا فغضب فجلس فقال من علم
فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم لا اعلم
فان الله تعالى قال لنبيه قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين
فان قريشا ابطاوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها
واكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السما والارض كهيئة الدخان
فجاء ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا
فادع الله فقرا يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله عايدون وهذا
قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار الفرا والزجاج وهو قول
ابن مسعود وكان ينكر ان هذا يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم من
شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانوا كانهم يرون دخانا وذكر
ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين الاول ان في
سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار
الكثير ويظلم الهوا وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا
امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبرا الثاني ان
العرب يسمون الشي الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان
اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوة
من الدخان ونقل عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه دخان
يظهر في العالم وهو احدى علامات القيامة ويروى ايضا عن ابن
عباس في المشهور عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن
تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة واما المومن فيصيبه كالزكمة واما الكافر فهو كالسكران

يخرج

يخرج من منخريه واذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وقال
صلى الله عليه وسلم بادروا باعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدابة رواه الحسن واحتج الاولون بانه تعالى حكى عنهم بانهم
يقولون **ربنا اكشف عنا العذاب** ثم عللوا ذلك بما علموا انه الموجب
للكشف فقالوا موكدين **انا مومنون** اي عريقون في وصف الايمان
فاذا حمل على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر
لما اشتد على اهل مكة مشى اليه ابو سفيان فناشده الله والرحم
وواعده ان دعا لهم وازال عنهم تلك البلية ان يومنوا به فلما ازالها
الله عنهم رجعوا الى شركهم اما اذا حمل على ان المراد منه ظهور علامة
من علامات القيامة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون ولم يصح ايضا ان يقال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عايدون قال البقاعي ويصح ان يراد به بعد طلوع الشمس من
مغربها روى الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا
طلعت وراها الناس امنوا اجمعين وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
ثم قرا الاية **انى** اي كيف ومن اين **لهم الذكرى** اي هذا التذكر
العظيم الذي وصفوا به انفسهم وقرا حمزة والكسائي انى بالامالة
محضة وقرا ابو عمرو بالامالة بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح وكذلك الكبرى **وقد** اي والحال انه قد **جاءهم** ما هو
اعظم من ذلك وادخل في وجوب الطاعة **رسول مبين** اي ظاهر غاية
الظهور وموضح غاية الايضاح وهو محمد صلى الله عليه وسلم واظهر دال
قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون **ثم تولوا
عنه** اي اطاعوا ما دعاهم الى الادبار عنه من دواعي الهوى
ونوازع الشهوات والحظوظ **وقالوا** اي زيادة على اساءتهم بالتولي **معلم**
اي علمه غيره القران من البشر قال بعضهم فعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف وقال اخرون انه **مجنون** اي يلقون الجن اليه
هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي **انا** اي على ما لنا من العظمة
كاشفوا العذاب اي بدعا النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط
قليلا اي زمنا يسيرا فقيل الى يوم بدر وقيل ما بقي من اعمارهم
انكم عايدون اي ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الى الكفران
لما في جبلاتكم من العوج وطباعكم من المبادرة الى الزلل فاياكم نحن نهوا
الذي اخبر تم برسوخه عرض زايل وخيال باطل وقوله تعالى **يوم
نبطش** اي بما لنا من العظمة **البطشة الكبرى** اي يوم بدر

مكة

Copyright ... University